زفـــة الميت

للأستاذ عريان ســـعد

لو أن هذه الكلمة تكتب فى غير سنة ١٩٤٤ التى نضحت عليها دماء السنوات الأربع الماضية ، دماء القتلى فى كل بلد ومن كل سن ، والتى لا تزال تسيل فيها الدماء ، وتعصف فيها رياح الموت هوجاء فتذهب بالأرواح والأجساد .

لو أن هذه الكلمة تكتب فى غير هذه السنة وعقب السنين السابقة التى نقرأ فيها أخبار الحـــرب فإذا كل يوم يموت آلاف الشبان لا يشيعهم إلى مقرهم الأخير أحد ، ثم ننتهى من قراءة أنباء هذه المجازر لننظر فإذا حشد كبير أو صغير يسير خلف ميت واحد لتشييعه ، لو أن هذه الكلمة تكتب فى غير هذا الوقت الذى يشيع فيه ألف رجل ميتا واحدا ، بينما يدفن جندى واحد فى الميدان الفا من القتلى ، لما كان لها فى النفس من الأثر ما لها الآن .

هذا أمر يثير فى النفس احساسات لا تثيرها إلا المتناقضات شديدة التناقض .

رجل عاش ثم مرض ثم مات ولست أتعرض لنوع حياته فكل ميت عزيز على أهله وأصدقائه يأسفون لفقده أشد الأسف ، ولكن ما الصلة بين أسفهم هذا لفقده و بين سيرهم خلف النعش الذى ينقل عليه الى قبره — سواء حملها الناس أو نقلتها عربة .

أهذا السير خلف الميت اعتراف من المشيعين بفضل للميت ؟ إذا ما أرخصه من اعتراف بالفضل وما أقصره ! ! أسير الشخص خلف عزيز عليه يكفى لأن يبرئ ذمته من كل حقوق ذلك الميت العزيز قبله .

أم السير خلف الميت تخليد لذكراه ؟ ! وأى تخليد يكون هذا إذا كانت الجنازة نفسها حادث عابر فاذا انتهت فكأنها لم تكن .

أم أنه بمثابة تكريم للميت وليس من المصلحة العامة فى شىء أن تكون الطرق العامة مكانا لحفلات التكريم فنحن نعيش فى عصر السرعة أكبر مميزاته وأهم عوامله ولا يجوز أن تترك مصالح الناس تحت رحمة كل ميت يعطل حركتهم ويوقف سيرهم حتى يمر بموكبه حافلا أو غير حافل .

ولست حين أطالب بابطال تشييع الموتى فى هذه المواكب التى أطلق عليها اسم الجنازات بمبتدع بدعة ولا مخترع جديدا ، إنما أنا أريد أن أسبق الزمن قليلا ، فانى أرى أن الجنازة تنقد مع الزمن أجزاء يأكلها التقدم واحترام الأمر الواقع وتقدير الأمور بقيمتها الحقيقية .

كانت الجنازه من جيل مضى أى من ثلاثين سنة تؤلف من اجزاء لايمكن التهاون فى شىء منها ، كان يسبقها رجال البوليس يستأجرون بالمال لكل نوع ورتبة أجر ، ثم حملة القماقم والأشايير ، ولا يزال البعض يعود الى استعمالهم ، ثم الرجال المشيعون ثم الميت ثم النساء .

لو أن جنازة سارت بغير هذا النظام فى ذلك الوقت لأثارت من النقد ما لا يطيقه أحد . نعم لو أن جنازة من الجنازات التى نراها الآن سارت من أربعين سنة مثلا لكانت سخرية البلد الذى تسير فيه .

إذن فالجنازة كلما تقدم الزمن أكل جزءا منها كما رأينا ، فلم لا نجهز نحن على الجزء الباقى منها وننتهى من هذه البدعة بدل أن نتركها للزمن يأكلها رويدا رويدا ؟

ولم لا ينقل الميت من داره الى حيث يصلى عليه فى سيارة كما ينقل من المسجد الى القبر أو من الكنيسة الى القبر ؟ وما قيمة هـذا الجمع يسير خلف الميت بعد أن يكون قد جمع بالإعلان عنه وعن صلة فلان وفلان وقرابته البعيدة لفلان والغرض من ذلك الاعلان كله أن يأتى من لا يعرف الميت ومن لم يره فى حياته لأجل خاطر هذا الفلان أو ذاك ليشترك فى الجنازة ، فتكون جنازة تناسب مقام الأسرة — كما يقولون .

لقد تخلصنا من زفة العريس وزفة العروسة وزفة المطاهر ، فهل آن أن ننتهى من زفة الميت ؟ فان انتهينا منها فسنرى فى الوفيات التى تنشرها الصحف تغييرا يلفت النظر ، سنرى الميت ينعى فلا يذكر الا والده إن كان له والد وأولاده إن كان له أولاد ، فان لم يكن ، نعاه إخوته دون ذكر ذلك الجيش من الأقارب الذين تختار أسماؤهم اختيارا لجمع المشيعين بل وربما عدل عن النعى اطلاقا ، إن الزمن الذى قضى على ليالى المآتم الثلاث وقصر الأمر على تشييع الجنازة سيقضى على الجنازة نفسها حتما ، فلم لا نسبقه ولم لا تحظر الحكومة سير الجنازات أو على الأقل تشير بالاقلاع عنها ؟ فيقلع عنها الناس فلا تتعطل المصالح لا لسبب الا لأن جنازة تعترض الطرق وتقطع على الناس سيرهم . فاذا كان الانسان الحى لا يملك تعطيل حركة المرور فأولى بالميت ألا يملك ذلك الحق .

عريان سعد